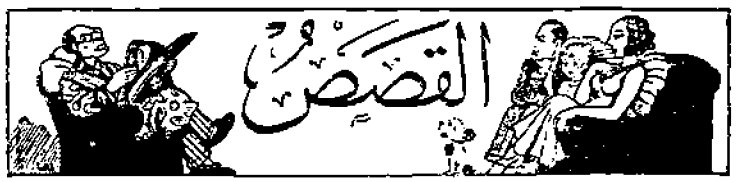

بعد الأوان ...

للأستاذ محمد سعيد العريان

يا لله ! وفى الدنيا هذا الجمال ؟

فتاة ، وما أعرف مثلها فيمن رأيت !

أتراها كانت تعرف أين هى من أحلام فتيان الحى ؟

وكان لها من جاه أبيها جمالٌ إلى جمال ، فاجتمعت لها أسباب الفتنة والإغراء ...

ورآها صديقى فتبدّل غيرَ ما كان ، وإنه لشاب وإنها لفتاة ، ولكنها ... ولكنه ...

وجاءنى ذات مساء وفى عينيه دموع ... يا لى مما أرى ! صديقى يبكى ! هذا الذى كنت أظنه لا يحمل من هم الدنيا إلا مثل ما تحمل نعله من تراب الأرض ! يا عجباً !

وفتحتُ له صدرى فآوى إليه ، ومضى يحدثنى بخبره

* * *

« ... وما يليق أن أبقى بعد اليوم عَزَباً ... وقد جاوزتُ الخامسةَ والعشرين ! »

وابتسمتُ ؛ فما سمعتُ صديقى يتحدث قبلُ عن الزواج بمثل هذا الوقار المختشم . لقد استطاعت امرأة واحدة أن تحمله على رأيي لم يكن واحد من أصحابه جميعاً يستطيع أن يحمله على الإيمان به . ويا طالما قلنا ويا طالما أجاب ... !

ومضى صديقى فى حديثه :

« وأجمعت أمرى على أن تكون لى ؛ فما يرضينى أن لى بها كلَّ متاع الدنيا . لقد وجدتها ، وهى حسبى من دنياى !

«وراح الرسول عن أمرى يؤامرها ويرود لى الطريق ؛ وكتم عنها اسمى وخبرى ومكانى بين الناس ؛ فما كان إلا أن سألته : وكم جنيهاً يقبض فى كل شهر ؟

« وأجابها الرسول بما أجاب ، فضحكت ساخرة وقالت: اثنى عشر جنيهاً ؟ يا له من عروس! فكم يعطى الطباخ وكم يعطى السوّاق ... ؟

« وعاد إلىّ الرسول بجوابها ... ! »

وأطرق صديقى برهة ، ثم رفع رأسه وشفته تختلج وفى عينيه بريق . وابتسمتُ ثانية ، وقلت : فما غضبك يا صديقى مما قالت ؟ إن لها فى الحياة ميزانها الذى تقيس به أقدار الرجال ؛ وإن للحياة موازينها ؛ فما ضرك أن تكون فى ميزانها ما تكون وأنتَ أنت. إن معك الشباب والقوة ، وإن لك غداً يبتسم ويرفّ ، وإن دماً فى أعراقك يتحدث به التاريخ ؛ فهل يخدعك عن كل أولئك أن فتاة تقول ... ؟

وأمسكتُ عن تمام الحديث ؛ فقد رأيت فى عينى صاحبى ما قطعنى وردّنى إلى الصمت !

وعاد إلى حديثه :

« وددت يا صاحبي لو لم يكن كل أولئك وكانت هى ... ! »

ورأيتنى منه على حال لا يجدى معها إلا أن أسكت ؛ فسكت !

وودّعنى صديقى بالوجه الذى لقينى به ، ومضى لشأنه

* * *

يا لقلوب الشباب من سلطان الحب !

ولقيته بعد ذلك مرات ؛ ولكنه كان شاباً غير مَن أعرف

هذا الذى كان لا يعرف من فروض الحياة على الحى إلا أن يبتسم ويضحك ، ويعبث بكل شىء ، ويسخر من كل شىء — قد عاد فى عبوسه وتزمّته وصرامة نظرته إلى الحياة خلقاً آخر !

يا عجباً ! أين ما صار مما كان ؟

تمرُّ به الجميلة الفاتنة قد أخذت زخرفها وازّينتْ ، فما تظفر منه إلا بالنظرة العابرة !

ويسمع النكتة البكر تضجّ لها جنبات المجلس بالضحك والتهليل فما تنال منه إلا بسمةً خاطفة !

وتتداعى أمانىُّ الشباب فى معترك الحديث من حوله فما تسمع منه إلا أنّةً خافتة !

وبتباري الفتيان فيما يحكون من أقاصيص الحب وغزوات الشباب فما ترى على وجهه من دلائل يقظة الوجدان إلا سَبْحة لطيفة من سبحات الذكرى، ثم خفقة طرف وخلجة شفة !

ثم يسمع أحاديث الزواج والخطبة ... فتراه كما ترى جنديًّا في إجازة يتلقى أخبار معركة حربية مظفرة وبينه وبين الميدان أبعاد وأبعاد !

ترى ماذا يتوقع أن يسمع ؟

شيء واحد لم يُغيِّره الزمن من أخلاق صاحبي : هو سخاء يده ؛ فما عرفتُ في أصحابي من قبلُ ومن بعدُ أكرم يداً منه بما يملك !

* * *

وترادفت الأعوام ، ولم يتزوج صديقي ... ولم تتزوج صاحبته !

أتُراها كانت تعلم من خبره ما أعلم ؟ ومن أين لها ؟ ... إن لصاحبي من الكبرياء ما يمنعه أن يلتمس إليها الوسيلة بعد ما كان ... وإن ... وإن الخطاب لتزدحم أقدامهم على بابها فما تعرف كم ردّتْ بالخيبة والخذلان !

أم تراها تعرف اسمه ؟ ... هذا الذي لا تذكر من صفاته — إن ذكرتْ — إلا أنه شاب يبلغ دخله في الشهر اثني عشر جنيهاً ، بعثَ إليها مرة يخطبها فردّته ... وكم في خدمة الدولة من شبان يبلغ دخلُهم ما يبلغ دخلُه ؛ وحسبه هذا تعريفاً بين آلاف من النكرات !

ولكن صديقي اليوم في منصب رفيع . لقد سما به جده وعمله إلى ما لم يبلغ أحد من نظرائه ! أتُراه يوازن اليوم بين ماضيه وحاضره ؟

* * *

لقد مضى منذ تلك الليلة التي زارني فيها صديقي زيارته خمس عشرة سنة !

ياه ... ! ما أسرع ما تمرّ السنون ! ... أين أنا اليوم مما كنت يومئذ ؟

لقد كنتُ يومئذ فتًى في باكر الشباب ، لم يجرحْ حدُّ الموسى على عارضه بعد ؛ وإني اليوم لزوجٌ وأب ، وإن في رأسي لشعرات بيضاً ما إن يخفيها ميلُ الطربوش ولا صنعةُ الحلاق ! ... وصديقي لم يزل عزباً ... صديقي الذي كان يخشى أن تفوته سن الزواج ، منذ خمسَ عشرةَ سنة !

أين هو اليوم ؟ وأين حاضره من ماضيه ؟

لقد ضربتْ بيني وبينه ضرباتُ الدهر فلم ألقَه منذ أعوام . وددت لو أعرف من خبره !

* * *

وخرجت أمس من داري على ميعاد . فإني لفي طريقي إذ لقيته ! يا للحظ !

وأقبلتُ عليه وأقبل عليّ ؛ وهممت أن أسأله حين بادرني بقوله : « إني أدعوك بعد غد إلى داري ... ... »

— تدعوني ؟ ...

— نعم ، لقد اتفقنا أن يكون الوفاء بعد غد !

— بمن ؟

— وهل حسبتني أرضى يوماً أن لي بها كلّ متاع الدنيا ! إنها هي ... لقد ضرب القدر بيننا موعداً فلم يخلفه . إن لكل شيء أوانه !

* * *

... وكما جلس صديقي مني مجلسه ذات مساء ، منذ خمس عشرة سنة ليحدثني بخبره — كان مجلسه الليلة مني ...

وكان في عينيه بريق غير البريق ، ولصوته لحن ورنين ، وفي عينيه دموع ؛ وكانت الكلمات ترتعش على شفتيه ؛ لأن فيها نبضات قلب حي . وصمّدت نظري إليه ؛ فرأيت في فوديه شعرات سوداء في شعر أبيض ، كأنما كانت لتشير إلى أنه ما زال هنا بقية من شباب .

ومضى صديقي في حديثه ...

« ... ولم يعد إليها رسولي منذ كان ما كان ؛ وما عرفت اسمي ولا جاءها خبر من خبري بعد ؛ وكأنما كان يد خرها لي

القدر ؛ فلم تتزوج ، وارتد الخطاب جميعاً عن بابها مخذولين ، وآن الأوان ... ...

« هل جاءك يا صديقي أن مرتبي اليوم في الحكومة ثلاثون جنيهاً في الشهر ، غير ما أكسب من أعمالي الخاصة ؟ ... ... وبعثت إليها رسولاً آخر يؤامرها للمرة الثانية ... ؟

وضحك صديقي ضحكة مرحة ، ثم عاد يقول :

— أتذكر ليلة جلست إليك أحدثك مثل حديث الليلة ، منذ ... منذ كم ... ؟

« ... وقالت للرسول وقال لها ؛ ثم سألته : وكم دخل صاحبك في الشهر ؟ فأجابها ... وكان القدر قد هيأ أسبابه ، فأجابت ... وزرتها من بعد ، وتم الاتفاق ! »

قلت لصاحبي :

— فهل عرفت هي أنك أنت أنت ، ... هل عرفت أنك سعيت لخطبتها مرة منذ خمس عشرة سنة فردتك ؟

فقال :

« وماذا يعنيني ، عرفت أو لم تعرف ؟ حسبي أنها اليوم لي ؛ وأن ما أردته قد كان ! »

* * *

ووجد المسكين تعبير رؤياه بعد خمس عشرة سنة من عمر الشباب ، ووجدت تعبير أمانيها . وباعت المسكينة شبابها وشبابه بثمن بخس ، حين تأبت عليه ، ومعه حرارة الشباب ونضارة العمر وسعادة الحب لترضاه من بعد وهو شباب مدبر ، ونجم آفل ، وشعلة إلى رماد ! ...

محمد سعيد العريان

سكك حديد الحكومة المصرية

الرحلة الثالثة لقطار الآثار بمناسبة عيد الاضحى المبارك

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه رغبة في تسهيل زيارة الآثار في غضون مدة العطلة بمناسبة عيد الأضحى المبارك تقرر أن يقوم قطار الآثار برحلته الثالثة من مصر مساء أول يوم العيد الساعة ٢٠٫٣٠ ويعود إلى مصر في صباح رابع يوم العيد الساعة ٧٫٣٠ .

الأجور

تحصل المصلحة من المسافر ٢٢٠ قرشاً . وهذه القيمة تشمل أجور السفر والأكل لمدة يومين كاملين بواقع ثلاث أكلات في اليوم وأجور الانتقال لزيارة الآثار ورسم زيارة الآثار وقد اتفق على جعله عشرة قروش صاغ (مع أن رسم الزيارة وحده للزائر العادي ١٨٠ قرشاً) والمبيت بالقطار أثناء السفر ومدة الاقامة بالأقصر . وتصرف المصلحة بطانية لكل مسافر .

عدد التذاكر محدد

تصرف التذاكر من الآن من مكتب الاستعلامات بمحطة مصر تليفون رقم ٥٨٤٥٨ ولا تقبل الشيكات ولا الحوالات البريدية .

سارعوا إلى شراء تذاكركم